

دور المعلم في بناء المجتمع

المناسبة: يوم المعلم والعمّال

الزمان والمكان: 18 محرم 1420هـ - ق طهران

الحضور: جموع من المعلّمين والعمال

بسم الله الرحمن الرحيم

أرجوكم بكم أيها الإخوة والأخوات لقدركم إلى هذا الاجتماع، الذي اكتسب بوجودكم
النقاء والإخلاص. لقد أزدان يوم المعلم والعامل - اللذين يشكلان أكبر شريحتين في كل
مجتمع - في بلدنا بعطر الشهادة، واتسح باسم عالم كبير ومجاهد في سبيل الله، وبذكر
شهيد نذر نفسه من أجل الحقيقة، ألا وهو المرحوم آية الله الشهيد مطهري¹.

الصفة الممتازة في الشهيد المطهري

لقد كرس هذا الرجل الفذ كل وجوده للدفاع عن حقائق الشريعة، والتصدي للشبهات
الفكرية التي كانت تثار ضد الإسلام.

وكان شهيدنا الغالي يتصف بخصائص ممتازة، وكان كل شخص يتلمس فيه أفقاً
رحباً بما يتاسب ووجهة نظره؛ والكل صائبون في ما يترسّمونه في شخصيته من
أبعاد، إلا أن الصفة الممتازة التي كان يتصف بها هي: دفاعه المستميت عن الحقيقة وعن
الإسلام بلا مُحاباة ولا مداهنة، وبلا أي خوف أو وجّل.

كان الشهيد منذ عام 1334هـ [ش 1955م] وحتى استشهاده في عام 1358هـ [ش 1979م] - على ما أذكر - يَهُبَ بما لديه من رؤية عميقه - حيث كان لديه
استيعاب كامل للأجواء الفكرية والثقافية التي كانت سائدة في البلد - للتصدي لأي
هجوم يستهدف النيل من الإسلام وأحكامه وأصوله، ويخلق سداً كالجبل لدرء تلك
الشبهات.

¹ الشيخ الشهيد مرتضى مطهري ابن محمد حسين ولد سنة (1338هـ) في بلدة فريمان من توابع مدينة مشهد بخراسان، واغتيل
سنة (1399هـ) في طهران درس على والده ثم في مدينة مشهد، ثم انتقل إلى مدينة قم حيث أنهى دراسته في الفقه والأصول
والفلسفة والمنطق. وبعد ذلك سكن طهران وتولى تدريس الفلسفة في جامعتها كما أسس حوزة علمية صغيرة في مدرسة
(مروي) كان يلقي دروسه فيها، وفي انتفاضة (15) خرداد سجن لمدة 43 يوماً، وكان عضواً بارزاً في جمعية (علماء الدين
المجاهدين).

وإذا أراد شبابنا وطلبتنا الجامعيون والمعلمون والعمال العثور على إجابات شافية لما يدور في أذهانهم من أسئلة عن الفكر الإسلامي، فينبغي لهم الرجوع إلى كتب الشهيد المطهري، التي وصفها الإمام الراحل بأنها بجمعها كتب قيمة ومفيدة.

ومثل هذا الثناء يكتسب أهمية فائقة فيما إذا صدر عن شخص كالإمام الخميني.

صحيح إنَّ آفاق الفكر والثقافة ينبغي أن تفتح أمامها سبلاً جديدة، بيد أنَّ هذا الوضع يجب أن لا يفضي إلى إطلاق العنان للتحلل الفكري الذي يعيشه أعداء الإسلام؛ وإنما ينبغي فتح السبيل أمام أفكار الجيل الشاب، وأمام الباحثين عن الحقيقة بنزاهة، ولاشك في أنَّ أحد أفضل السبل لبلوغ هذه الغاية هو الأفكار النقية البارعة لهذا الرجل المجاهد في سبيل الله، والذي قدّم نفسه فداءً لهذا السبيل.

لقد اقتنى يوم العامل وأسبوع المعلم في بلدنا بهذه الظاهرة الخالدة، وأعني بها شهادة هذه الشخصية الكبيرة، وهذا ما يوجب علينا تكريم ذكراه، ويفرض على الجميع – الشباب منهم على وجه الخصوص – الاستفادة من بركات هذه الشخصية، والاستفادة بهذا المشعل في الجو الفكري للمجتمع.

ومن الطبيعي أنَّ الإشادة بشخصية المطهري وتکریم ذکر اہ بالاں لا یتّسم بكثير من الفائدة، ما لم يستتبعه غور في آثاره، ولكن يجب عليهم مطالعة كتبه، والاستفادة من أفكاره المنهجية المنظمة كالمشعل الوضاء في أجواء الفكر والثقافة.

دور المعلمين والعمال في رقي وازدهار المجتمع

ينبغي لي التتويه إلى أنَّ طبقي المعلمين والعمال تعتبران أشرف، أو تدخلان على الأقل في عداد أشرف الطبقات الاجتماعية، وخاصة في مجتمعنا.

إنَّ المعلم في الحقيقة عامل؛ والمعلم يؤدي أفضل وأرقى عمل، ألا وهو التربية والتعليم وبناء الإنسان الكامل، كما أنَّ العمال هم الآخرون أصحاب علم وأصحاب عمل؛ وذلك لأنَّ العامل إذا لم يكن خيراً وعالماً بعمله لا يتمنى له إنجاز أي عمل، ومنعى هذا أنَّ هاتين الشريحتين تتألفان من مجموعة من ذوي العلم والعمل، أي أنهم يحملون قيمتين نبيلتين.

إنَّ الخدمات التي قدمتها هاتان الطبقتان تُعد من الخدمات التي قلماً نجد لها نظيرًا. كما أنني لازلت أتنكر الدور الذي قام به المعلمون والعمال في مرحلة ما قبل الثورة، وكذا في السنوات الأولى لانتصار الثورة، إذ لو لم يكن عمالنا من الناس المؤمنين لوقعت في هذا البلد عشرات المؤامرات، التي كانت كل واحدة منها كفيلة لخلق مشاكل كثيرة للبلد، وهذا الوصف ينطبق على المعلمين أيضاً، وفي فترة الحرب كان المعلمون

والعمال يؤدون أفضل الأدوار في رص الصفوف الأولى لجبهات القتال، ودعم الجبهات من الخلف، واستنفار الجماهير للمشاركة في جبهات القتال .

إن الطبقتين اللتين تؤديان مثل هذا الدور في تلك الظروف العصبية خليقان بالتكريم والثناء.

وهكذا الحال أيضاً في الظرف الراهن؛ فنحن إذا كنا نطمح اليوم إلى تحقيق تنمية اقتصادية شاملة؛ يجب علينا تقوية العمل، إذ بدون العمل لا يمكن إحراز أية نتيجة، وإذا كان هنالك تركيز على أهمية دور الاستثمار في التنمية؛ فإنني لا أنكر ذلك، إذ لو لاه لما تحققت أية نتيجة على هذا الصعيد، غير أن الاستثمار لا يمثل إلا ركناً واحداً، والركن الأساسي الآخر هو عمل العامل.

ومن الطبيعي أن العمل الذي لا يقترن بالإخلاص والحرص والخبرة والمثابرة، وتحمل الظروف السيئة لا يمكنه الأخذ بيد البلد، ولا يمكن للبلد بلوغ المكانة المنشودة بلا وجود مثل هذا العمل .

نحن نطمح اليوم إلى تحقيق الاستقلال الاقتصادي، ونطمح إلى تحرير البلد من الاعتماد على النفط، ونحاول إيجاد التدابير الكفيلة بعدم ظهور مثل هذه الإفرازات والانعكاسات، عند حصول أي انخفاض في أسعار النفط .

ولكن كيف يتمنى لنا النهوض بمثل هذه المهام؟ إذا شئنا الاستغناء عن النفط، هل يتأنّى لنا ذلك، من دون الاتجاه إلى العمل وإلى الشريحة العاملة، وتدريب العمال وتأهيلهم، وإبداء اهتمام خاص بهذا القطاع؟ نحن نحمد الله على أن الحكومة منهمكة بإنجاز هذه المهام، ولل الحق أقول: إنّ أخوتنا في الحكومة دائمون على إنجاز أعمال قيمة؛ ولكنني أؤكد أنّ أهم عمل ينبغي أن يضطلع به المجلس – مجلس الشورى الإسلامي –، والحكومة، والمسؤولون في شتى القطاعات هو أن لا ينظروا إلى العمل والعامل قضية تعرض لهم بين الحين والآخر، وتتدخل معها في بعض الأحيان ظروف وملابسات سلبية، بل ينبغي عليهم النظر إليها كقضية أساسية من قضايا البلد .

إن عمالنا من غير شك أناس شرفاء ومؤمنون ويقطون، ولا تنطلي عليهم المؤامرات المعادية، فلو لم تكن هذه الجموع الكبيرة من عمالنا على درجة من الوعي والتمسّك بثورتهم ودينهم ونظمهم لتمكن أعداؤنا من خلق الكثير من الكوارث في ميادين العمل ، إلا أن عمالنا أشدّاء.

ومن الطبيعي أن المحاولات المعادية ما فتئت تتواصل، إلا أن عمالنا الشرفاء المؤمنين الكادحين يقطون وفطنون – والحمد لله – ولا يقعون في أحابيل هذه المؤامرات، وهكذا يجب أن تتواصل هذه المساعي.

ومن البديهي أن التنمية الاقتصادية لا يمكن أن تتحقق بدون التوجّه إلى قضايا العمل وشؤونه، إذ ينبغي أن يدرك المرء الذي يوظّف ذاته لهذه المهمة أنه يلقي من النظام الدعم والمؤازرة.

هناك في ما يخص المعلمين الأعزاء نقطة مشابهة لهذه، حيث يدور الحديث في هذه الأيام عن "الانفتاح السياسي"، ولكن ما معنى الانفتاح السياسي والثقافي؟ الانفتاح الثقافي والسياسي معناه: أن يشعر الإنسان في المجتمع بالقدرة على التفكير السليم والفهم السليم والتعلم السليم، وإذا ما استطاع بلد ما بلوغ هذه المرحلة فلا تؤثّر فيه عدّة مؤامرة ولا تضليل.

وهذه الحالة الفضلى لا تتحقّق بالضوضاء والضجيج والألاعيب التي تتبعها الصحف، وإنما تتحقّق على يد المعلم، فالمعلم هو الذي يُرسّي أسس الانفتاح السياسي والتنمية الثقافية.

دور المعلم تعليمي وتربوي

أنت — المعلمون — تستقبلون الطفل في المدارس منذ السنة السابعة من عمره، ثم تُسلّمونه إلى الجامعات وهو في الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة من عمره، وهذا يقضي أهم مراحل حياته معكم أنت المعلمون، وهذا ما يفرض على البلد وعلى المجتمع أن يحسب لهذه القضية حسابها؛ فالمعلم هو الشخص القادر على غرس السجايا الأخلاقية الحميدة لدى الطفل، ورفده بالمعلومات المفيدة، وتعليمه على كيفية التفكير السليم، واستقلال الرأي، والوقوف بوجه الباطل، والجهاد في سبيل الحق.

أعزائي، أيها المعلمون والمعلمات، اعلموا أنه لا ينحصر عملكم في الدرس الذي تعلّمونه للتلاميذ، بل حتى النّظرة والإشارة والابتسامة، أو العبوس، أو الحركة التي تصدر عنكم، أو الثياب التي ترتدونها لها تأثيرها الفاعل على التلميذ، ونحن لو راجعنا ذواتنا وبحثنا عن جذور أعمق مشاعرنا وعواطفنا وحالاتنا النفسيّة لشاهدنا عند نهاية الخط معلماً يقف وراءها، والمعلم هو القادر على أن يجعل كل واحد منا شخصاً شجاعاً أو جباناً، وكريماً أو بخيلاً، ومنكراً للذات أو أنانياً، ومن رواد العلم والثقافة والفهم أو جاماً ومتجرجاً ومتزّماً؛ والمعلم هو القادر على تربيتنا على التدين والتقوى والulfة، أو تربيتنا — لا سمح الله — على التحلّل والتهتك.

هذا هو دور المعلم، وهذه هي قيمته، وهذا هو تأثيره، وهذه هي المهمة التي يضطلع بها المعلم في القضايا الأساسية لحياتنا، ولأجيالنا المُقبلة، ولمجتمعنا ومستقبلنا.

اعرفوا قدر المعلم والعامل

وفي ضوء هذا الدور الذي يقع على عاتق المعلم، كيف ينبغي لبلدنا ومجتمعنا وحكومتنا ونظامنا النظر إلى قضية المعلم؟ إننا لا نبغي من رواه كلامنا هذا – سواء عن المعلمين أم عن العمال – إلقاء العبء على كاهل هاتين الشرعيتين؛ وذلك أننا كلّنا مكلّفون، وحتى الناس العاديون الذين لا يدخلون في عداد هاتين الطبقتين يتحمّلون قسطاً من التكليف إزاءهما؛ فالحكومة تتحمّل قسطاً من التكليف، والنظام يتحمّل بعض هذا التكليف، وكذلك مجلس الشورى الإسلامي يتّحّمّل أيضاً قسطاً من هذا التكليف، الكل مكلّفون في قبال هاتين الشرعيتين؛ وأنا لا أريد حصر القضية في جانب الشؤون المعيشية فحسب؛ فالمعيشة ضرورة، ولكنها ليست كل شيء.

إنّ الشيء الأهم من الجانب المعيشي هو قضية التقدير والتشجيع، إذ يجب أن تكون للمعلم في مجتمعنا منزلة، بحيث إذا سُئل أحد الشباب عما يجب أن يكون في المستقبل، أن يقول: أحب أن أصبح معلماً.

ويجب أن يكون للعامل منزلة وشرف، بحيث إذا سُئل الشاب أو الصغير عمن هو أكثر شعوراً إزاءه بالامتنان، أن يقول: العامل.

يجب أن يعرف الشعب قيمة عمل العامل، وعليكم أن تعلموا – طبعاً – أن الله ورسوله والكرام الكاتبين يعرفون قيمة العمل (فسيرى الله عملكم ورسوله)²؛ اعلموا أنه أمام الله وفي السجل الإلهي، واعلموا يا أعزائي أن كل لحظة من لحظات كنكم وعنائكم لا تضيع عند الله، والدفائق الأخيرة التي تواصلون فيها العمل بداعي التكليف القانوني والديني وأنتم مرهقون، هذه الدفائق لا يعلمها رب العمل، ولا المدير؛ لا صاحب المعمل ولا إدارة المدرسة، إلا إن الله تعالى يعلمها ويحفظها لكم؛ وهذه في الحقيقة قيم فاضلة. ولا تظنو أن هذا إرجاء على المستقبل، ولكنها في الحقيقة حتى وإن كانت إرجاء على المستقبل فإن لها يوم القيمة أهمية كبرى، ولها بأول ليلة في القبر أهمية بالغة، بيد أن دورها لا ينحصر في هذا الإطار فحسب، وإنما بها يتم إعمار البلد، وانتظام الحكم وبناء الأجيال الشابة، وبها نشأت شخصيات كالشهيد المطهري؛ فالمطهري (رضوان الله تعالى عليه) تربى في أحضان عدة معلمين خيرين كان أولهم والده.

أجل، إن بعض الآباء معلمون، بل ومن أفضل المعلمين؛ وذلك المعلم الفاضل هو الذي بنى كيان هذا الرجل العظيم، إذ فاق الشهيد المطهري أباه كثيراً في العلم والفضل،

² سورة التوبه، الآية: 105.

فأنا قابلت أباه، ووجدت الشهيد المطهرى بما كانت له من شخصية بارزة وخارقة قد فاق أباه في المنزلة والفضل، إلا أن ذلك الأب هو الذي أنشأ هذا الرجل العظيم، وهو الذي رباه في حجره؛ وهكذا الحال بالنسبة لمعلميه أيضاً.

نقل لي الشهيد المطهرى كيفية معايشته مع المرحوم النجفى القوچانى³ خلال شهر واحد أو شهرين من أشهر رمضان المبارك، وقد كان لهذا الشخص الفذ الذى اشتهر بكتابيه "سياحة في الشرق" و"سياحة في الغرب" تأثير واضح على روح المرحوم العلامة الطباطبائى⁴ والمرحوم الحاج ميرزا علي الشيرازى وآخرين كثريين غيرهم، وعلى رأسهم سماحة الإمام الخميني.
إذاً هكذا يمكن أن يفعل المعلم فعله.

ابنوا مستقبل بلدكم واحذروا أساليب عدوكم

أيها المعلمون الأعزاء، أيها العمال الأعزاء، إنّ بلدنا بحاجة إليكم، واعلموا أنَّ الآلاف منكم قد لا يعرفون بأسمائهم وسمائهم، ولكن ثقوا أن لكل واحد منكم تأثيراً مشهوداً في مستقبل البلد، ولا أعني المستقبل البعيد، وإنما أعني أن تأثيركم سيكون مشهوداً على مدى السنوات العشر أو العشرين القادمة.

وهذا يوجب عليكم العمل والمثابرة؛ فإنَّ رسول الله كان يقول لعلي (عليهما الصلاة والسلام) : "إياك والكسل والضجر".⁵

ونقل أيضاً عن رسول الله أنه قال: "رحم الله امرأ عمل عملاً فأتقنه".⁶

³ آية الله السيد محمد حسن النجفي القوچانى المتوفى سنة 1362 هـ.

⁴ العلامة السيد محمد حسين الطباطبائى (1321 - 1402 هـ) عالم ومحفس وفيلسوف إسلامي، صاحب الكتاب الشهير الميزان في تفسير القرآن. كان أدبياً، وشاعرًا، كتب القصائد الشعرية باللغتين العربية والفارسية، وكان بارعاً في كتابة الخط العربي، وله منظومة في آداب الخط ضمّنها إلى أحد مؤلفاته وُلد في مدينة تبريز شمال إيران في التاسع والعشرين من شهر ذي الحجة لعام 1321 هـ/1892 م. أنهى المراحل الأولى لدراسته الشرعية عند الأساتذة المعروفين في مدينة تبريز ، ثم سافر إلى مدينة النجف الأشرف في العراق لإكمال دراسته الحوزوية ، وبقى هناك 11 سنة ، يحضر دروس الفقه والأصول عند كبار العلماء . عاد إلى تبريز وأخذ يلقي الدروس فيها بحدود 10 سنوات ، ويسبب الاضطرابات التي حدثت في محافظة آذربایجان خلال الحرب العالمية الثانية هاجر إلى قم المقدسة . درس علم التفسير والفلسفة والعلوم العقلية وفي سنة 1368 هـ شرع بتدريس الأخلاق والعرفان ثم بعدها قام بتدريس رسالة السير و السلوك المنسوبة للعلامة بحر العلوم. توفي العلامة الطباطبائى بتاريخ 28 / محرم الحرام / 1402 هـ، 1982 م. ودفن إلى جوار مرقد السيدة المعصومة فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر عليهم السلام في مدينة قم المقدسة.

⁵ بحار الأنوار، العلامة العجلسي: ج 75، ص 175.

اعلموا أنّ أعداء هذا البلد، الذين تكشفتاليوم للجميع أسلوباتهم الدعائية المضادة للإسلام، وللقيم الإسلامية، وللثورة، وللإمام، وللشخصيات الأخرى، ومن جملتها الشهيد المطهري نفسه – إلا أن يكون منْ يرى الأجواء الثقافية ولا يرى ذلك العداء، أعمى – أخذوا يعلقون الآمالاليوم على طبقة المعلميين، وعلى الطبقة العاملة، وعلى طبقة الطلاب، أو على طبقة علماء الدين؛ من أجل تعطيل دورها، على اعتبار أنها الطبقات المؤثرة والفاعلة في المجتمع.

ولو أنّ هذه الطبقات أنجزت واجباتها بإنقاذ، وعلى نحو كامل، وعن علم ومعرفة؛ لأنّه أصبح هذا البلد وهذه الثورة وهذا النظام منْ أتقن وأقوى وأرسخ الأنظمة التي حكمت هذا البلد على مدى قرون متقدمة، ولا يستطيع الوقوف بوجه أعنى المؤامرات وأشرسها؛ لأنّ مثل هذه الأعمال والممارسات الإعلامية وأساليب الحصار والتآمر لا يمكنها أن تتّال من إرادة شعب يقف بصلابة وشموخ وهو على بيته من أمره، ومتفهّم لما ينبغي له عمله، وهو ماضٍ على طريقه بإيمان ووعي.

أسأل الباري تعالى أن يوفقكم جميعاً، وأن يوفق المسؤولين الأعزاء؛ للنهوض بالواجبات الملقاة على عاتقهم على أفضل وجه، وأن تبيضّ وجوه أبناء الشعب بكل فئاته وطبقاته أئمّة الله وأئمّة مستقبل البلد، وبخاصّة الشريحتين اللتين تتّنمون إليهما؛ بسبب ما تتّصفان به من أهميّة وحساسية، وأن تبقى وجوهكم – كما كانت حتى الآن – مبيضة على الدوام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

⁶ شوادر التنزيل، الحاكم الحسكناني: ج 1، ص 5.